السفير

تحقيقات.أقليم الخروب منطقة آثار تبدأ من العصور الحجرية فخاريات وبرونزيات ونواويس وقصور وكنائس وجوامع(صور)

المؤلف: يونس احمد
التاريخ: 14-06-1995
رقم العدد:7105

هذا الموضوع المختصر الذي يتناول آثار اقليم الخروب منذ العصور الحجرية وحتى المرحلة العثمانية، لا يعتبر ثبتا كاملا لآثار تلك المنطقة التي تمتاز بغناها التاريخي، وقد أعده ل»السفير« الدكتور أحمد يونس، خاصة أن يونس الأستاذ في الجامعة اللبنانية كان قدأصدر قبل فترة قصيرة كتابه »المعالم الأثرية والتاريخية في إقليم الخروب«، وهو حصيلة جهود قام بها على امتداد سنوات من البحث والتنقيب. والكتاب يتألف من ستة فصول يتناول كل منها الآثار والمواقع التاريخية في مناطق ومناحي الإقليم، إضافة الى هذه المتابعة التفعيلية العيانية والبحثية زود يونس الكتاب بفهرسين للخرائط والاشكال والصور فضلا عن المراجع المعتمدة، والكتاب في 279 صفحة من القطع الكبير.. هنا نص مقال يونس: 1 إقليم الخروب في العصور الحجرية يقع إقليم الخروب في قلب الشواطئ اللبنانية التي كانت مأهولة باستمرار منذ فجر العصور الحجرية. وقد تكونت في بطاح الإقليم وأوديته وعلى مجاري الانهار الجافة والجارية المغاور والكهوف التي كان يأوي اليها الانسان القديم ومن تلك المغاور: مغارة الحمام في تلال الدلهمية، ومغارة الجية الضخمة، ومغاور ضهر المغارة، ومغارة الملح في برجا، ومغاور بسير في عانوت، ومن حسن الطالع أننا عثرنا على بعض الأدوات الحجرية صدفة في أودية برجا وعانوت وبعاصير، وهي عبارة عن فؤوس ونصال مصنوعة من حجر الصوان، ومخارز من العظام ومن المشاهد الممتعة في الإقليم تلك الحيوانات البحرية المتحجرة على صخور

الزعرورية وفي أودية عانوت والمغيرية والتي يرجع تاريخها الى ملايين السنين. 2 إقليم الخروب في العصور البرونزية خلال هذه العصور التي استمرت طيلة الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وتحديدا من 3200 ق.م الى 1200ق.م. كان إقليم الخروب مأهولا بكثافة من الكنعانيين وشعوب اخرى امتزجت معهم، وقد سكنوا في قرى محصنة على امتداد الساحل اللبناني، والواقع اننا لم نعثر على آثار تلك القرى في الإقليم لأنها اندثرت على مرحلتين، ولكن حين اكتشفت بعض القطع الفخارية والأدوات البرونزية في بعض الأماكن في الإقليم تبين انها تعود الى العصور البرونزية، وهكذا عثرنا على مدافن تلك الجماعات التي كانت تسكن قرب الينابيع في الإقليم وذلك بأعداد كبيرة مثيرة للاهتمام (حوالى 50 مدفنا في تلة واحدة في بعاصير) وعلى شكل آبار صغيرة محفورة بالصخور الكلسية البيضاء اللينة، وقد عثر في داخلها على جماجم وعظام بشرية وحيوانية وأوان فخارية كالجرار والأباريق وأوعية السوائل والكؤوس ومعها أيضا أسلحة وأدوات مصنوعة من البرونز كالفؤوس والمطارق والخناجر والحراب والدبابيس، كما عثر فيها ايضا على عدد من الاختام المصنوعة من الحجارة الكريمة على شكل الجعلان المصرية Scarabe التي تحمل نقوشا وكتابات هيروغليفية.. وقد ساعدتنا هذه المكتشفات على تحديد الانتشار السكاني في الإقليم آنذاك بدءا من علمان والرميلة والجية على الساحل، صعودا الى الجميلية ومجدلونا وبرجا وبعاصير وعين الأسد وسبلين وكترمايا. وصولا الى الدبية والبرجين وشحيم وعانوت في عمق الإقليم ويبدو ان شهرة الإقليم بشجر الخروب موغلة في القدم، ولعل أول إشارة عثرنا عليها في هذا المجال تعود الى تلك الفترة وتحديدا الى عصر الفرعون المصري تحوتمس الثالث (1490ق.م. 1436ق.م) الذي غزى فلسطين وجنوب لبنان واجتاز مدينة صيدون وعبر نهر الأولي، وفي التقرير الحربي لهذه الحملة، والمدون بالكتابة الهيروغليفية، تجد من جملة الغنائم »ست كراسي من العاج والابنوس وخشب الخروب وست مناضد من العاج وخشب الخروب وصولجانا من خشب الخروب المطلي بالذهب«. ونلاحظ ان الأدوات التي غنمها هذا الفرعون في هذه البقعة الممتدة الى شمال نهر الأولي مصنوعة من خشب الخروب حيث تنمو أشجاره بكثرة حتى سميت المنطقة اقليم الخروب في العصور المتأخرة. 3 الآثار الفينيقية أطلق الإغريق اسم الفينيقيين على سكان الشواطئ اللبنانية الذين كانوا يتاجرون معهم، فأصبحت هذه التسمية مرادفة للكنعانيين ثم طغت عليها، ولو عدنا الى اقليم الخروب في ذلك الزمن لوجدناه يعج بالسكان من الرعاة والمزارعين والحطابين والصيادين الذين كانوا يسكنون القرى المبنية على رؤوس التلال وقد بنوا فيها البيوت والمعابر والساحات المقدسة، غير ان هذه القرى

لا أثر لها اليوم لأن أنقاضها اندثرت وبقي من آثارها في الاقليم الآبار والمصاطب الصخرية والمدافن والنواويس المحفورة بالصخور ولا تكاد تخلو قرية في الاقليم من تلك المغاور المدفنية ذات الكوى والمحاريب في داخلها وهي شبيهة بمقابر »كفرجرة« التي يطلق عليها كونتينو اسم »افران الخبازين« لأن سقوفها مستديرة الشكل ونجد من هذه الآثار اعدادù كبيرة في علمان والرميلة ومجلونا وسبلين وبرجا وبعاصير والمعنية وجون والجميلية ودلهون والبرجين. 4 الآثار اليونانية والرومانية والبيزنطية خضع اقليم الخروب للحكم اليوناني حين فتحت فينيقيا ابوابها للفاتح المقدوني الاسكندر الكبير سنة 332 ق.م. وقد ترك خلفاء الاسكندر آثارù متناثرة في بعض المواقع في الاقليم كالجية وعلمان والرميلة والوردانية الرميلة Palatanos الجية Poriphyzeon كما يقول المؤرخ الاغريقي بوليبيوس Polibus وهي عبارة عن اعمدة وتيجان وفسيفساء ونواويس حجرية ومدافن ونقوش موشومة بالاحرف اليونانية. ومن اهم المعارك التي يسجلها التاريخ في هذا العصر المعركة الكبيرة التي دارت رحاها سنة 218 ق.م. بين انطيوخوس الثالث السلوفي وخصومه من البطالة حكام مصر. وقد جرت المعركة في الشريط الساحلي الممتد بين الرميلة والجية وطاولت العمليات الحربية التلال المشرفة على الساحل ويذكر المؤرخ الاغريقي بوليبيوس ان القوة البحرية للبطالة كانت مؤلفة من ثلاثين بارجة واربعمائة سفينة نقل ومع ذلك فقد كانت الغلبة لانطيوخوس وخسر اعداؤه ألفي قتيل وألفي اسير وتراجع الناجون الى حين للاحتماء بأسوارها وميناها الحصين. على ان الآثار اليونانية في الاقليم سرعان ما طمستها المنشآت الضخمة التي اقامها الرومان الذي دخلوا فينيقيا عام 64 ق.م. وقد استغل الرومان اراضي الاقليم على اكمل وجه لأنهم اول من اخضع سكان الجبال الاشداء للقانون. وقد ربطوا تلال الاقليم بشبكة من المواقع العسكرية والمدنية المكشوفة على خط النظر حيث يتم الاتصال فيما بينها بواسطة المرايا نهارù واشعال النيران ليلاً، وبنوا في مرتفعاته بيوتù للسكن والاصطياف كما نلاحظ في تلك جون ومجدلونا ومزمورة ومزبود وشحيم ودلهون والبرجين وكترمايا وبرجا وبعاصير والدبية والزعرورية وحصروت وبسابا. ويتناثر في هذه الاماكن حطام الادوات الفخارية والنقود الرومانية بكثرة وقطع الآجر التي كانت تغطي الابنية والاعمدة المستديرة، والحجارة الضخمة التي كانت تستعمل في الابنية الرومانية لمقاومة الزلازل والهزات الارضية. اما المدافن فقد كانت خارج المدن والقرى لان القانون الروماني كان يمنع وجودها داخل الاماكن السكنية. ونجد من هذه المدافن المنحوتة في الصخور على شكل احواض او داخل المغاور اعدادù كبيرة في كل ارجاء الاقليم. اما اهم الآثار الرومانية في الاقليم فنجدها في

موقعين: أ قصر ابو حنين في برجا. وقد زارها رينان سنة 1862 واطلق عليها اسم مدينة مدفنية واسعة Necropole، وهي تضم عشرات الكهوف والغرف المدفنية والنواويس المنحوتة في الصخور. ولا تزال موجودة في الطرف الشمالي للبلدة. ويذكر رينان انه نقل القطع الاثرية الهامة التي وجدها في برجا الى القنصلية الفرنسية في بيروت، ومنها تمثال للالهة فينوس وشاهد جنائزي عليه كتابة يونانية تحمل اسم احد النبلاء المدعو »خورستوس« الذي دفن في المكان سنة 127 م. اي في العصر الروماني. ب آثار شحيم المسماة »القصر« وهي اهم آثار الاقليم على الاطلاق، حيث بنى الرومان قرية كاملة تحكموا بواسطتها بالمنطقة، ويضم الموقع معبدù رومانيù خصص لعبادة الاله »هيليوس« اله الشمس، بالاضافة الى منشآت عمرانية مدنية وعسكرية وانتاجية منها بيوت للسكن، واصطبلات، ومخازن، ومعاصر للزيتون والعنب. وعدد من المدافن داخل الاسوار. وتزدان واجهة المعبد بالاعمدة الرخامية والتيجان الكورنثينة وبالنقوش والمنحوتات. ويرجع تاريخ المعبد الى القرن الثاني الميلاد حين أنشئت مستعمرة بيروت الرومانية. ويضم موقع »قصر شحيم« ايضù كنيسة بيزنطية، بنيت على الشكل البازيليكي وقد شيدت في باحة المعبد الروماني. وتتألف من ثلاثة اروقة تنتهي بثلاث حنايا تبرز الى الخارج من جهة الشرق وكانت ارضيتها مكسوة بالفسيفساء ولكنها دمرت الآن ويعود تاريخ بناء الكنيسة الى القرن الخامس الميلادي. ومن الآثار البيزنطية الهامة في الاقليم مدينة بورفيريون (الجية حاليù). التي كشفت اعمال التنقيب فيها عن مدينة كاملة بشوارعها وبيوتها ومنشآتها وكنيستها التي تقع على شاطئ البحر. وقد نقلت منها عشرات الاعمدة الرخامية ولوحات الفسيفساء الى متحف قصر بيت الدين وهي مزينة بالصور والالوان المختلفة تحمل كتابات يونانية تبين تاريخ رصف الفسيفساء مع اسماء الاشخاص الذين تبرعوا بها للكنيسة، وترجع هذه الآثار البيزنطية الى القرن السادس الميلادي، وقد تحدثت عنها البعثات الاثرية والرحالة الذين مروا بالجية ومنها بعثة رينان التي حملت معها سنة 1863 لوحة جميلة من الفسيفساء قدمتها ارملة الامير بشير الشهابي الثاني التي كانت تقيم بالجية، بالاتفاق مع المتصرف داود باشا، هدية الى الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث، وتلاحقت الهزات الارضية والزلازل في اواخر القرن السادس الميلادي مخلفة وراءها الدمار والخراب الذي يظهر بوضوح في المعابد والمنشآت الرومانية والبيزنطية على السواء ثم تلا ذلك الفتح العربي الاسلامي لبلادنا في القرن السابع الميلادي. 5 آثار العصور الوسطى والحديثة، العرب الصليبيون المماليك العثمانيون: الواقع ان العصور التاريخية التي تلت الفتح العربي للبنان ما زالت تحجبها ظلال كثيفة لان المصادر العربية

والبيزنطية لا تفيدنا الكثير عن اخبار تلك الحقبة التاريخية التي امتدت قرونù طويلة، ولا نجد في اقليم الخروب من ذلك العهد اية معالم او شواهد قائمة انما نجد بعض الروايات الشعبية عن القبائل والجيوش العربية التي لا تزال اسماؤها معروفة في بعض الاماكن كشحيم وجون والبرجين وبرجا وغيرها. وتحرك التاريخ من جديد في الشرق مع وصول الصليبيين في اواخر القرن 11م حيث خضع الاقليم والشوف كله لحكم الفرنجة وكان الاقليم من املاك بارونية صيدا الصليبية التابعة لمملكة بيت المقدس. واهم الاثار الصليبية من تلك الفترة قلعة (Belhacem) المعروفة اليوم باسم قلعة ابي الحسن التي تقع على نهر الاولي في الجهة الجنوبية من بلدة جون. وقد بنيت القلعة على تلة حصينة ترتفع حوالي 80م عن قعر الوادي وتحيط بها مياه النهر من ثلاث جهات وتشكل مع قلعة شقيف تيرون في نيحا وقلعة جزين الخطوط الدفاعية عن مدينة صيدا من جهة البر. ويعود تاريخ بناء القلعة الى القرن 12م، وقد زارها عالم الاثار الفرنسي ديشان Deschamps العام 1936 ووضع لها مخططا وشرح خصائصها الهندسية والبنائية وتحدث عن تحويرات واضافات لحقت بالقلعة في العهود الاسلامية التالية. وبعد خروج الصليبيين من الشرق على يد المماليك سنة 1291م، دمرت المدن والقلاع في المناطق الساحلية على يد جيوش المماليك حتى لا يتمكن الصليبيون من النزول فيها مجددا وهكذا عم الخراب هذه المناطق بشهادة الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة، واصبح الاقليم مع قاعدة الساحل القديمة صيدا تابعين لولاية دمشق في التقسيمات الادارية التي طبقها المماليك ثم العثمانيون في بلاد الشام وقد تولت شؤون البلاد الاسر الاقطاعية. وخلال هذه القرون الطويلة من العهود الاقطاعية كان اقليم الخروب يضم مزارع قليلة السكان، وحين استتب الأمن في عهد الامارة المعنية تدفق السكان باتجاه الاقليم والشوف من المناطق الشمالية والداخلية، فعمرت القرى من جديد على انقاض الاماكن التاريخية القديمة كما جرى في معظم قرى الاقليم وبلداته وهكذا طمست معظم آثار الاقليم عن غير قصد. وقد شيدت خلال القرون المتأخرة منشآت عديدة منها الخانات والجسور على الطرقات، والمطاحن، ومعاصر الزيتون والدبس، واماكن العبادة كالجوامع والكنائس والاديرة، والمقامات الدينية التي تنتشر في كل قرى الاقليم تقريبا، وظهرت الى جانبها البيوت الترابية العادية والعمارات التي عرفت بالدار وهي الابنية الكبيرة التي كانت تقوم على الاقبية المعقودة ويغطيها القرميد الاحمر، وقد تفنن البناؤون في بنائها وزينوا واجهاتها بالقناطر والادراج الحجرية والنوافذ التي تعلوها الاقواس المعروفة على طراز الماندولين الايطالي، وهذه الابنية نجدها في القريعة وشحيم وعانوت وبرجا وفي الحارات القديمة في كل قرى الاقليم واهم هذه المعالم والابنية التاريخية على سبيل المثال لا

الحصر: أ دير المخلص في جون، وقد بناه الاباء المخلصون سنة 1717م على انقاض دير قديم، وفي سنة 1720 بنيت كنيسة الدير الكبرى على انقاض كنيسة بيزنطية قديمة ايضا. وفي جوار الدير الرئيسي توجد عدة اديرة تابعة له. ب قصر الليدي استانهوب في جون. يرجع تاريخه الى العام 1821م، وقد شيدته سيدة انكليزية وحولته الى قصر يضاهي قصور الامراء والحكام آنذاك. ج قصر المير في الجية. بناه الامير بشير الشهابي الثاني حين اشترى الجية من آل نكد، وقد رممته مديرية الآثار ولا تزال اسرة الامير تتوارثه حتى الآن. د مقام النبي يونس في الجية، يعود تاريخه الى عهد المماليك بعد ان حول بناؤه القديم الى بناء اسلامي يضم المقام وبقربه خان للمسافرين وقد رمم المقام حديثا ولكنه لا يزال يحتفظ بطابعه التاريخي القديم. ه جامع برجا القديم، وفي بعض الروايات انه كان كنيسة بيزنطية، ولكن هندسته تشبه الجوامع القديمة (العثمانية) في صيدا وبيروت وطرابلس، وقد رمم حديثا، وبنيت مئذنته القديمة عام 1894م. و جامع مزبود، وهو قديم العهد، يعود تاريخه الى العام 756ه/ 1335م وقد رمم عدة مرات وتهدمت مئذنته المربعة الشكل في زلزال 1956م. ز جامع شحيم القديم جامع الساحة، وقد رمم بناؤه سنة 1272ه/ ولكنه تهدم في زلزال 1956، ويجري تجديد البناء حاليا وقد وجدت في اساساته انقاض وآثار قديمة العهد. ح كنيسة الجية القديمة، بناها الامير بشير الشهابي الثاني، وكان فيها صورة سيدة النجمة التي ارسلها البابا غريغوريوس السادس عشر هدية الى الامير. ط كنيسة المعنية، بنيت عام 1886، ومن الكنائس المعاصرة لها كنيسة البرغوتية وكنيسة ضهر المغارة وكنيسة بكيفا. ي كنيسة الدبية، بنيت عام 1753م وقد نقشت فوق مدخلها الغربي كتابة سريانية تؤرخ لبنائها مع صلوات دينية. هذا بالاضافة الى عشرات البيوت والاقبية القديمة والمقامات والمزارات الدينية والمطاحن وعيون الماء والجسور والقناطر والتي يضيق الوقت عن احصائها كلها.

الكلمات الدالة

لبنان | الآثار البيزنطية | الآثار الفينيقية | اقليم الخروب | الآثار | الآثار الرومانية